(( وقفة مع قصة قارون ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : <https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله، أحمده سبحانه وهو المحمود وهو للحمد أهل، وأشكره وهو المشكور وهو للشكر أهل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله... أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ آل عمران: ١٠٢

القصة أسلوب أخّاذ، وعبرة لأولي الألباب، وموعظة تنفذ إلى القلوب فتهزّها هزّا ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ هود: ١٢٠

وفي القرآن قصص عظيمة تخشع لها القلوب، وتذعن لها النفوس، ولا غرابة فهذا كلام الله ، ونحن اليوم مع قصّة قرآنيّة ، وواقعة ماضية لسنة باقية ، نحن اليوم مع قصة البغي والطغيان والإمهال والإستدراج، مع قصة الكبر الهائج، والغنى الفاسد المفسد .

نقف اليوم مع قصة الامتحان الإلهي ، والجحود البشري

نقف اليوم مع رجل فتح الله عليه أبواب النعيم ، فكثرت كنوزه ، وفاضت خزائنه ، وأوتي بسطة في الرزق ، ورخاء في العيش، وكثرة في المال ، وأحاطت به سبل السعادة والرفاهية ، فكان يعيش في قومه مترفاً منعماً، ويلبس الملابس الفاخرة ، ويسكن القصور الشاهقة ، ويركب المراكب الباهرة ، فزاد خدمه وحشمه . فطغى وتجبر ، وتطاول وتمادى ، حتى ظن أنه لن يقدر عليه أحد .

فتعال معي رعاك الله ، لنأخذ القصة والعبرة من كتاب الله تعالى .

قال الله عز وجل : ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ القصص: ٧٦

ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ

تشخيص لحاله ومكانه ، تعريف لشخصية هذا الطاغية .

ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﮯ ﭼ

بغى بماله ، بغى بظلمه وغناه ، بغى بخدمه وحشمه، بغى بمأكله ومشربه وقلبه ، بغى بكفره وفساده وإفساده ، تجاوز الحد في احتقارهم وإذلالهم ﭽ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ الله الذي آتاه ..

الله الذي أطعمه من جوع ، وكساه من عري وأغناه من فقر؛ فالمال مال الله ، والرزق من عند الله ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ الذاريات: ٥٨ فالله هو الذي أنعم عليه وأعطاه ، والعطاء في الدنيا ليس بدليل حب وإكرام ، وليس بدليل بغض وحرمان، فهذا وربّ الكعبة فهم سقيم ، وجهل عظيم ، فقد ظن المشركون بهذا الظن السيء ، ظنوا أن العطاء والإنعام دليل حبّ وإكرام ، فقال تعالى حكاية عنهم ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ سبأ: ٣٥

فردّ الله تعالى هذه الدعوة الباطلة ﭽ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ سبأ: ٣٦

ثم قال سبحانه كاشفا لميزان وحقيقة القرب منه ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ سبأ: ٣٧

فالله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، قال تعالى ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪﮫ ﭼ الفجر: ١٥ - ١٧

فالعطاء والإنعام قد يكون استدراجا من الله ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ المؤمنون: ٥٥ - ٥٦

والنبي يقول «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ : ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﭼ . رواه أحمد وصححه الألباني .

فماذا كانت النتيجة ﭽ ﮭ ﮮﮯ ﭼ بغى قارون بالمال ، والكنوز التي تنوء بحمل مفاتيحها العصبة من الرجال ، حتى قيل أن مفاتيح خزائنه تحمل على ستين بغلا ، فكيف يحمل ما بداخلها من كنوز الدنيا ؟

فطغى قارون ، وعميت بصيرته ، وعظم زهوه ، وزاد غروره .

فجاءه فئة من أهل العلم والصلاح ، وقاموا بواجب النصح والإصلاح ، فذكروه بالله ووعظوه بخمسة وصايا تهديه إلى خيري العاجلة والآجلة .

ﭽ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ القصص: ٧٦ - ٧٧

ولكن هيهات هيهات فقد طبع الله على قلبه، واغتر بثروته، وسكر بنشوة المال والغنى، فأعماه المال والطغيان عن الحق ، وأصمّه عن الأخذ بالنصيحة .

خمس وصايا أعرض قارون عنها، وهي والله وصايا لإصلاح كل فرد ومجتمع منَّ الله عليه بنعمة المال والغنى حتى لا يقع البغي والطغيان، فالمال والذهب والفضة ، والخميصة والخميلة ، والريال والدرهم والدينار إذا تمكنت من النفوس أشغلتها عن ذكر الله ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡ ﭼ التغابن: ١٥

وقال «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» رواه الترمذي بسند حسن صحيح 2376 .

فكيف كان الجواب من الطاغية قارون على وصية الناصحين ؟

أعرض عن النصيحة ، وأعمى عينه عن الحقيقة ، وأجاب بكلمة تحمل بما تكنه نفسه من الخبث والكبر ، أجاب بكلمة تحمل شتى معاني الفساد والإفساد .

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ القصص: ٧٨

قال ابن كثير ~: (أَنَا لَا أَفْتَقِرُ إِلَى مَا تَقُولُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَعْطَانِي هَذَا الْمَالَ لِعِلْمِهِ بِأَنِّي أَسْتَحِقُّهُ، وَلِمَحَبَّتِهِ لِي فَتَقْدِيرُهُ: إِنَّمَا أُعْطِيتُهُ لِعِلْمِ اللَّهِ فِيَّ أَنِّي أَهْلٌ لَهُ... ) .

ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭗ ﭼ بمهارتي وقوتي وإدارتي .

فجاء الوعيد الرباني على هذه المقولة الباطلة ﭽ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ

وبعدما طغى قارون ، وبغى في الأرض فساداً ، وأراد أن يفتن غيره ، قال تعالى : ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ القصص: ٧٩

قال ابن كثير ~ : (خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَةٍ عَظِيمَةٍ، وَتَجَمُّلٍ بَاهِرٍ، مِنْ مَرَاكِبَ وَمَلَابِسَ عَلَيْهِ وَعَلَى خَدَمِهِ وَحَشَمِهِ ) .

خرج في زينته يتحدّى الناصحين ، ويغري ويفتن الضعفة والمساكين .

خرج على قومه ليفتنهم بزينة الحياة الدنيا .

خرج في زينته ليرى الناس عيشه ، وبذخه ، ورفاهيته .

وعند هذا المشهد زلّت أقدام ، وزاغت قلوب وأبصار ، وفتنت نفوس.

وعند هذا المشهد ثبتت أقدام المؤمنين ، وأيقنت أن هذه الزينة وما فيها من نعيم الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة .

عند هذه الفتنة العظيمة ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭼ انقسم الناس إلى فريقين : فريق فتن بما رآه ، وسال لعابه ، وقتل ببريق الشهوات ، ولذّة الحياة ، فقال الفريق الأول ، الذين وصفهم الله بقوله ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ هذا اللقب ، وهذه الصفة أساس انحرافهم ، ومحور ظلالهم أنهم يردون الحياة الدنيا ، لا همّ له في الآخرة ، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ الإسراء: ١٨

لا همّ لهم في الآخرة ، نظرهم قاصر ، يقينهم مهزوز ، خدعوا بقارون وأمثاله ، تمنّوا أن يملكوا الدنيا وزينتها ، فقالوا بحسرة قلب ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ القصص: ٧٩

فالحظ العظيم عند هؤلاء المساكين هو زينة الحياة الدنيا ، ففتنوا بالحظ العظيم ، ونسوا الفوز العظيم الذي قال الله تعالى عنه ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ التوبة: ٧٢

وقال الفريق الثاني : ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ القصص: ٨٠

العلم بحقيقة الدنيا العاجلة ، والعلم بحقيقة الآخرة الآجلة

ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ الذين يعلمون حقيقة الدنيا فعلموا حقاً أن قارون لا يملك شيئاً ، بل إن قارون يعيش فقيراً ، بائساً ، تعيساً ، خاسراً محروماً . علموا أن قارون معذّبا ، شقيّاً ، مطروداً .

فالعطاء الحقيقي هو في صلاح القلب ، وهداية العبد ، وانشراح الصدر ، فتلك والله هي الحياة الطيبة ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ النحل: ٩٧

يَقُولُ المُسْتَوْرِد بن شداد سمعت رَسُولُ اللهِ يقول : «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟» رواه مسلم .

ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ القصص: ٨٠

فالصابرون على طاعة الله ، وعلى معصية الله ، الصابرون على الفقر ، وشظف العيش ، هم الفائزون حقا .

ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﭼ آل عمران: ١٨٥

إِنِّى رَأَيْتُ وفي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ للصَّبْرِ عاقِبَةً مَحْمُودَةَ الأَثَرِ

وقَلَّ مَنْ جَدَّ في أَمْرٍ يُطالِبُهُ فاستَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلاَّ فاز بالظَّفَر

الثانية

وبعدما بلغ قارون في البغي قواه، وفتن في المتاع القليل، وزينت له الحياة الدنيا ، وغرّه طول الأمل ، جاءته الخاتمة السيئة ، والمصرع الوخيم ، والعقاب الأليم ، فبينما قارون في بغيه وطغيانه ، وفساده وإفساده انقلب العزّ ذلّا ، والغنى فقراً ، والقوة ضعفاً ، والجمع شتاتاً .

قال تعالى ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ القصص: ٨١ الله أكبر في لمحة خاطفة ، ولحظة عاصفة ، ابتلعته الأرض التي كان يتبختر عليها ، وابتلعت ملكه ، وقصره ، وزينته ، ابتلعته الأرض التي طغى وتجبّر عليها فإذا هو في بطن الأرض التي كان يتحدى ويتعدّى عليها جزاء وفاقا.

ففي الصحيحين من رواية أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» .

ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ القصص: ٨١

وهنا كانت المفاجأة ، فقد أفاق الذين كانوا بالأمس يقولون ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ القصص: ٧٩ ، أفاقوا من سكرتهم ، فقالوا متوجعين متعجبين : ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ القصص: ٨٢

عندها جاء اسم الإشارة البعيد ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ القصص: ٨٣

ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭼ مريم: ٦٣

العاقبة للمتقين الذين يصلحون الأرض بتقواهم .

العاقبة للمتقين الذين فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله .

العاقبة للمتقين الذين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا .

وَجَنَّاتُ عَدْنٍ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أُزْلِفَتْ \*\* لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبَتَّلُ

بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي \*\* وَقُرَّةُ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرَحَّلُ

يُقَالُ لَهُمْ طِبْتُمْ سَلِمْتُمْ مِن الأَذَى \*\* سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِالسَّلامَةِ فَادْخُلُوا

بَأَسْبَابِ تَقْوَى اللهِ والعَمَلِ الذِي \*\* يُحِبُّ إلى جَنَّاتِ عَدْنٍ تَوَصَّلُوا